الاستنزاف المتبادل:

تقييم عسكري للمواجهة التكتيكية بين إسرائيل وإيران

أواخر فبراير الماضي، أجرى التلفزيون الإيراني حوارًا تلفزيونيًا، مع العميد أمير حجي زادة، قائد القوات الجوفضائية في الحرس الثوري الإيراني، أدلى فيه زادة بتقييم عام لمدى إمكانية شن إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، هجومًا على بلاده، وحينها اعتبر أنه من "المؤكد" أن تل أبيب وواشنطن لا تستطيعان مهاجمة إيران. بعد هذا التصريح بعدة أشهر، وتحديدًا في الثالث عشر من شهر يونيو، قُتل زادة وعشرات القادة العسكريين الكبار في الجيش الإيراني والحرس الثوري، خلال العمليات الجوية الإسرائيلية، التي استمرت على مدار 12 يومًا، وشملت بشكل أساسي القسم الغربي من الأراضي الإيرانية، بجانب نقاط في شرق وجنوب البلاد.

وبغض النظر عن إمكانية أن تكون تصريحات زادة، موجهة بشكل أساسي للاستهلاك المحلي، فإنها في جانب آخر -وبالنظر للوقائع الميدانية التي شهدتها المحافظات الإيرانية الغربية على مدار نحو أسبوعين من العمليات العسكرية- تعبر عن قناعة أساسية

محمد منصور

باحث أول بالمرصد المصري
بالمركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

يسعى "المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية" إلى تقديم الرؤى والبدائل المختلفة بشأن القضايا والتحولات الاستراتيجية، على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي على حد سواء. ويولي اهتمامًا خاصًا بالقضايا والتحولات ذات الأهمية للأمن القومي والمصالح المصرية.

المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية

ecss.com.eg
/ecsstudies

كانت قد بدأت منذ مطلع العقد الماضي، في الترسخ تدريجيًا بالأوساط العسكرية العليا في طهران، مفادها أن دخول إيران في حالة "الردع النوعي" قد تكرس بالفعل -سواء من خلال القدرات الصاروخية المتفوقة، أو عبر امتلاك أذرع مسلحة متعددة القدرات في الشرق الأوسط- وإن إمكانية تعرض أراضيها لهجمات عسكرية مباشرة أو واسعة النطاق، أصبحت في طور التراجع المستمر، خاصة خلال السنوات الأخيرة. لكن جاءت مخرجات المواجهة العسكرية الأخيرة مع إسرائيل، لتلقي ظلالًا كثيفة من الشك بشأن هذه المسألة.

من هذا المنطلق، تناقش هذه الورقة البحثية، الجوانب الأساسية لهذه المواجهة؛ وهي ثلاثة جوانب رئيسية، بداية من الجانب المرتبط بمجريات الهجمات الجوية الإسرائيلية على إيران، وما رافقها من مجهود عسكري خاص، وكذا طبيعة الأهداف التي تم قصفها في المحافظات الإيرانية المختلفة، وأبرز الشخصيات العسكرية والعملية التي تم اغتيالها، مرورًا بالجانب المتعلق بطبيعة الرد الإيراني على هذه الهجمات، سواء على نطاق التصدي لهذه الهجمات مباشرة، أو نطاق استهداف الأراضي الإسرائيلية بالصواريخ والمسيرات، وصولًا إلى الجانب الأهم المتعلق بالمحاور التكتيكية التي شابت عمليات كلا الجانبين، ومدى التغير الذي طرأ على هذه المحاور نتيجة لهذه المواجهة. من ثم تخلص الورقة إلى خلاصة عامة، مفادها أن المواجهة الأخيرة بين الجانبين، كانت أشبه بـ "حرب استنزاف صاروخية"، حاول كلا الجانبين خلالها استنزاف مخزونات الجانب الأخر من الصواريخ "الاعتراضية في الحالة الإسرائيلية، والبالستية في الحالة الإيرانية"، وهي معادلة تبدو من حيث الشكل "صفرية"، لكنها أوضحت بشكل كبير أن كلا الجانبين –سواء في مجريات عملية "الأسد الصاعد" الإسرائيلية ، أو "الوعد الصادق- 3" الإيرانية - يعانيان من فجوات نوعية في عقيدتهما الدفاعية.

صدمة الضربة الجوية الاستباقية

فجر الثالث عشر من يونيو 2025، نفذت القوات الجوية الإسرائيلية ضربة جوية موسعة في الأجزاء الغربية من إيران، وهي ضربة مثلت نموذجًا للتطور الذي طرأ على العقيدة القتالية الإسرائيلية، التي تحولت للاعتماد بشكل رئيسي على "العمليات القتالية الهجينة"، عبر الجمع بين الوسائط القتالية التقليدية وبين العمليات الخاصة والاستخباراتية. من هذا المنظور يمكن القول إن المجهود العسكري الإسرائيلي في إيران، تضمن عمليات قتالية "مشتركة"، جمعت بين عدة أفرع في المؤسسة العسكرية الإسرائيلية.

كان الجانب الجوي من هذا المجهود القتالي، هو الجزء الرئيسي من هذا المجهود -بالنظر إلى البعد الجغرافي لمنطقة العمليات، وقد تضمن هذه الجانب "ضربة افتتاحية"، نفذتها تشكيلات من المقاتلات الإسرائيلية، على أنساق متتابعة، ركزت في المقام الأول على استهداف مواقع سكن القادة العسكريين والعلماء النوويين الإيرانيين، وهو نسق يشابه إلى حد بعيد العمليات الجوية الواسعة التي تمت ضد حزب الله، والتي من خلالها تم "إحباط" منظومة القيادة والسيطرة للحزب، بشكل يجعل منظومة اتخاذ القرار في حالة شلل كامل، وهو ما حدث أيضًا في الحالة الإيرانية؛ حيث كان النشاط الجوي الإيراني المضاد محدودًا للغاية، ولم يتم تفعيل الدفاعات الجوية إلا في

* منذ تأسيس إسرائيل عام 1948، حرصت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية على صياغة أسماء عملياتها بعناية، وعلى نحو يجعلها انعكاسا لرؤيتها الأيديولوجية وأداة تخدم أهدافها السياسية، واستوحت إسرائيل اسم عملية (الأسد الصاعد)، من أحد نصوص العهد القديم، الذي يتحدث عن "مستقبل مزدهر تنتصر فيه إسرائيل القوية"، وورد هذا التعبير في "الإصحاح23/24-": وجاء فيه "شعب كالأسد يقوم، وكالليث يشرئب، لا ينام حتى يأكل فريسته ومن دم ضحاياه يشرب". كما ان للأسد مكانة رمزية في التعاليم التلمودية اليهودية، ففي نبوءة لبلعام بن باعوراء - وهو نبي وعراف تنبأ بقوة إسرائيل وسلطانها - شبهها بأسد لا يهدأ حتى يشبع جوعه.

** أسم "الوعد الصادق3-" يحمل دلالة دينية وسياسية، حيث يشير إلى فكرة الوعد بالخلاص وعودة المهدي المنتظر في الفكر الشيعي، كما انه يرتبط بعمليات الوعد الصادق 1 و2، التي نفذتها ايران ضد اسرائيل، ومن هذا المنطلق تحاول طهران التأكيد على أن عمليات استهدافها لإسرائيل مستمرة على مراحل.

مناسبات قليلة –خاصة أن الضربات الجوية تضمنت أيضًا مهام ترتبط بإحباط مواقع رادارات الإنذار المبكر الأساسية– وهو ما أسهم في المحصلة في قصف الهدف الرئيسي للضربة الافتتاحية، وهو منشأة التخصيب في نطنز.

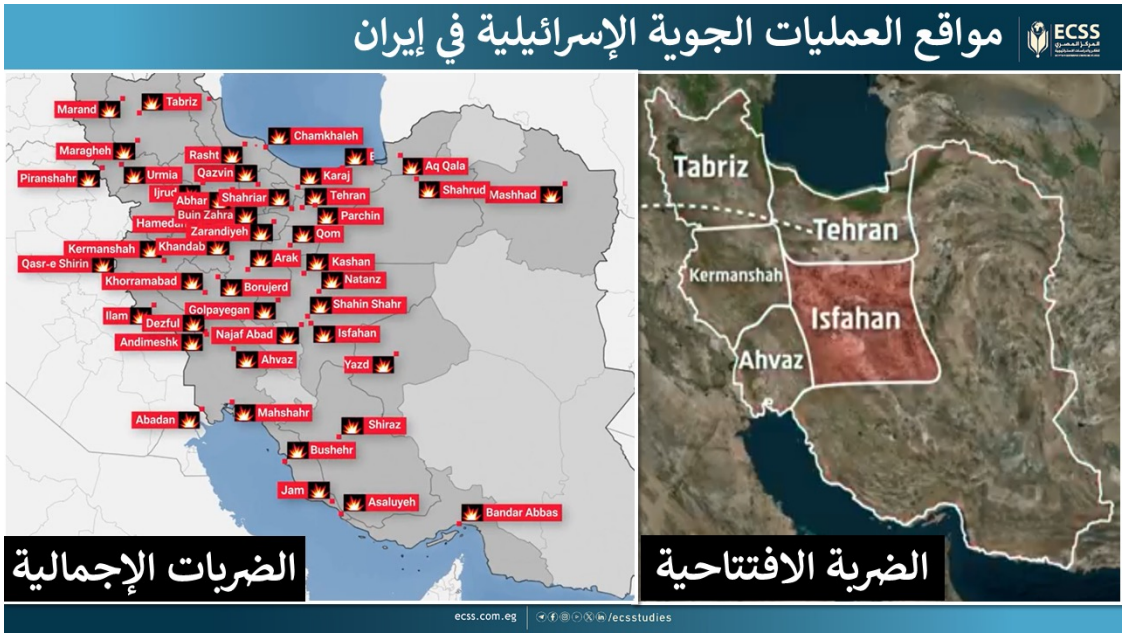

خلال الأيام التالية للضربة الافتتاحية، ظهر بشكل واضح مدى النجاح التي تم تحقيقه حيال شل فاعلية الدفاعات الجوية الإيرانية؛ حيث احتفظت تل أبيب بهيمنة جوية شبه كاملة على القطاع الغربي والأوسط من الأراضي الإيرانية، في مثلث يربط بين مدينة "بابلسر" في محافظة مازندران المطلة على بحر قزوين، ومدينة "عسلوية" في محافظة بوشهر المطلة على الخليج العربي، ومدينتي "تبريز" و"مارند" في محافظة أذربيجان الشرقية المطلة على الحدود مع العراق. تحليق المقاتلات الإسرائيلية في هذا النطاق كان يسيرًا بشكل أثار تساؤلات جدية بشأن كفاءة شبكة الدفاع الجوي الإيرانية؛ حيث تمكنت هذه المقاتلات خلال مدة العمليات من استهداف طائفة واسعة من الأهداف الاستراتيجية، منها:

القواعد الجوية والبحرية:

- تم استهداف القواعد الجوية ومدارج الإقلاع في كل من مهر آباد وهمدان وديزفول، بجانب كل من قاعدة "الشهيد بهتشي" الجوية في أصفهان، وقاعدة "فاكويري" الجوية في مدينة تبريز، وقاعدة "الشهيد بختياري" الجوية في محافظة خوزستان، وقد تضمنت عمليات الاستهداف هذه قصف وسائط جوية منها مقاتلات من نوعي "إف-5" و"إف-14"، ومروحيات هجومية من نوع "AH-1"، وإن كانت أغلب هذه الوسائط خارج الخدمة منذ عدة سنوات.

- من النقاط المهمة في هذا الإطار، حقيقة أن المقاتلات الإسرائيلية قد نفذت غارتين جويتين على الأقل، استهدفتا القسم العسكري من مطار مشهد، شمال شرق البلاد، ويبعد 2300 كيلومتر عن الحدود الإسرائيلية، واستهدفت إحدى الغارتين، طائرة تزويد بالوقود من نوع "بوينج707-"، تابعة لسلاح الجو الإيراني، وهو ما يمكن أن نعتبره بمثابة أعمق غارة جوية تنفذها القوات الجوية الإسرائيلية في اتجاه الشرق.

- وعلى الرغم من أن التركيز الإسرائيلي في هذا الجانب من المواقع الإيرانية، كان منصبًا بشكل أكبر على القواعد الجوية، فإنه لوحظ مهاجمة مستودعات داخل ميناء بندر عباس جنوبي إيران، وتحديدًا القسم العسكري من الميناء -والذي يسمى ميناء الشهيد رجائي"- بجانب مواقع إضافية في ميناء "بندر لنجة" بمحافظة هرمزغان، ويمثل نطاق ميناء بندر عباس، أساس المنطقة الأولى في البحرية الإيرانية -المسماة "صاحب الزمان"- والتي تتخذ من هذا الميناء مركز قيادة رئيسيًا، وتعتبر من أهم المناطق البحرية للحرس الثوري، وتتولى حماية مضيق هرمز، وتنتشر فيها وسائط بحرية اساسية للقوة البحرية للحرس الثوري.

القطاع الصناعي الإيراني:

- استهداف مركز لعدد من المرافق الصناعية الإيرانية، ذات الارتباط بالبرامج العسكرية، مثل مقر "شركة شيراز" للصناعات الإلكترونية، وهي شركة خاضعة لعقوبات الولايات المتحدة، وتُوفر إلكترونيات للجيش الإيراني، بما في ذلك تكنولوجيا توجيه الصواريخ. من الأمثلة البارزة الأخرى، موقع لإنتاج المحركات الصاروخية، في مدينة "شاهرود" بمحافظة سمنان، على بعد نحو 2000 كيلو متر من الأراضي الإسرائيلية، وهو استهداف يعتبر أيضًا ضمن الاستهدافات الأعمق التي تم تنفيذها خلال فترة العمليات الجوية.

- كذلك استهدفت المقاتلات الإسرائيلية بشكل مركز، مناطق صناعية بعينها، مثل منطقة "سفيدرود" الصناعية، قرب مدينة رشت في محافظة كيلان، التي تتضمن مصنعًا لإنتاج ألياف الكربون، مملوكًا لشركة "نافيد" للمواد المركبة، وهي شركة تابعة لمجموعة "سنام" الصناعية، التي تعتبر من الشركات الأساسية في برنامج الصواريخ البالستية الإيراني، وكذلك مقرات تابعة لشركة "قدس" للصناعات الجوية، تقع بجوار مطار "مهر آباد" في طهران، وهي شركة إيرانية حكومية متخصصة في تصميم وبناء الطائرات بدون طيار، بما في ذلك سلسلة "مهاجر".

قواعد صاروخية ومستودعات ذخيرة:

- كانت القواعد التي تضم مرافق مرتبطة بالبرنامج الصاروخي الإيراني، سواء مرافق تخزين وصيانة أو مناطق تضم منصات ثابتة أو متحركة للإطلاق، من أهم الأهداف التي ركزت عليها المقاتلات الإسرائيلية، لذا شمل النشاط العملياتي لهذه المقاتلات، مستودعات صاروخية رئيسية للحرس الثوري في القطاع الشمالي الغربي لإيران، والذي يضم محافظات أذربيجان الشرقية والغربية، وكرمانشاه ولورستان وزنجان وهمدان.

- هذا النشاط تضمن قصف مركز لقواعد صاروخية رئيسية مثل قاعدة "الإمام علي" في مدينة خرم آباد بمحافظة لورستان، وقاعدة "الإمام الرضا" في شهرود بمحافظة سمنان، وقاعدة "الإمام الحسن" في محافظة كرمنشاه، ومجمع "خوجير" الصاروخي في جبال "سرخة حصار" شرقي العاصمة.

- كما تتبعت المقاتلات الإسرائيلية، مواقع التخزين الرئيسية للذخائر، وقامت بشكل ممنهج بقصف هذه المواقع، ومن أبرز الأمثلة على ذلك، قصف مستودع رئيسي يقع على بعد 90 كيلو مترًا من مدينة قم، وقد تزامنت عملية قصفه، مع رصد هزة أرضية بقوة 2.5 درجة على مقياس ريختر، مركزها قريب من هذا الموقع، وهو أمر تكرر مرتين إضافيتين في مواقع أخرى تضمنت مخازن للذخيرة تم قصفها.

المراكز الحكومية الأساسية:

- لوحظ التركيز الكبير من جانب المجهود الجوي الإسرائيلي، على العاصمة طهران، وهو توجه يرتبط بطبيعة الحال بأهمية هذه المدينة على المستوى الاستراتيجي، كونها تضم أهم مرافق النظام في إيران، وكذا التأثير النفسي الذي لا يمكن تجاهله، لفكرة وجود المقاتلات والطائرات المسيرة الإسرائيلية، في أجواء العاصمة بشكل مستمر على مدار 12 يومًا.

عمليات الاستهداف داخل العاصمة كانت متنوعة؛ حيث شملت أحياءً مميزة يُعرف أن شخصيات بارزة على المستوى العسكري والأمني تقطن فيها، مثل حي "لافيزان" شمال شرق العاصمة.

- يضاف إلى ذلك قصف معظم المقرات الأمنية والعسكرية الأساسية داخل محيط العاصمة، بما في ذلك مقر وزارة الدفاع الإيرانية، في حي "نوبونياد"، ومقر قيادة "خاتم الأنبياء"، ومركز قيادة القوات الخاصة والشرطة واستخبارات الشرطة، ومقر قيادة القوات البرية النظامية، ومركز القيادة الموجود في إقليم إلبرز، الذي يشرف على العمليات الأمنية والعسكرية في منطقة طهران، ومركز قيادة قوات "سيد الشهداء"، المسئول عن قمع الاضطرابات الداخلية، ومركز قيادة قوات "ثأر الله"، الذي يتولى مهمة الدفاع عن طهران من التهديدات الأمنية، بجانب مركز قيادة قوات التعبئة "الباسيج"، ومبنى الاستخبارات العامة التابعة لقيادة الأمن الداخلي، ومقر شرطة الفضاء الإلكتروني -المعروفة بـ"فَتا"- والمقار الأساسية للحرس الثوري.

- هذا بجانب استهداف مقار حكومية وخدمة، بما في ذلك مقر وزارة الطاقة الإيرانية، ومبنى هيئة الإذاعة والتلفزيون، والبوابة الرئيسية لمحكمة وسجن "إيفين" المعروف في طهران، وجامعة الإمام الصادق التابعة للحرس الثوري الإيراني.

- المراكز البحثية التابعة لوزارة الدفاع الإيرانية، تم استهدافها أيضًا بشكل ممنهج، ومنها مجمع التطوير العسكري في بارشين جنوب غرب العاصمة، ومبنى جامعة "مالك أشتر" للتكنولوجيا، وهي جامعة إيرانية حكومية تابعة لوزارة الدفاع، ومقر منظمة "سپند" للبحوث الدفاعية شمال العاصمة.

المنشآت النووية والنفطية:

- استهدفت المقاتلات الإسرائيلية معظم المنشآت النووية الأساسية في إيران، بما في ذلك تلك الموجودة في نطنز وأصفهان، والمفاعل النووي العامل بالماء الثقيل في منطقة آراك؛ حيث تم استهداف القبة الرئيسية الخاصة بالمفاعل الذي لا يزال تحت الإنشاء.

- على مستوى المنشآت النفطية، استهدفت المقاتلات عدة منشآت رئيسية في هذا القطاع، منها منشأة "بارس" للغاز الطبيعي في مدينة عسلوية جنوب غرب إيران، والتي تعد أكبر منشأة من هذا النوع في العالم، بجانب مرافق أخرى مثل مصفاة "فجر جام" النفطية قرب مدينة بوشهر، وميناء "كناجان" للغاز الطبيعي، ومستودعات الوقود الخاصة بالعاصمة طهران، والتي تقع في مناطقها الغربية والجنوبية، وتحديدًا مستودعين أساسيين؛ الأولى: مستودع نفط "شهران" غرب العاصمة، والآخر يقع جنوب العاصمة، وهو مستودع نفط "حججي" بمصفاة طهران.

كانت عمليات الاغتيال واستهداف الشخصيات الأمنية والعسكرية والعلمية، على رأس أولويات العمليات الجوية الإسرائيلية في إيران؛ حيث تضمنت هذه العمليات اغتيال ما لا يقل عن 15 من كبار العلماء والخبراء في البرنامج النووي الإيراني، منهم أمير حسن فخاهي، نائب رئيس منظمة الطاقة الذرية الإيرانية، وفريدون عباسي، الرئيس السابق لمنظمة الطاقة الذرية الإيرانية.

على مستوى القيادات العسكرية، تشير المعلومات المتوفرة إلى أن المستويات القيادية العليا في الجيش النظامي والحرس الثوري، قد اغتيل أغلب عناصرها خلال العمليات الجوية الإسرائيلية:

- رئيس أركان القوات المسلحة الإيرانية، اللواء محمد باقري.
- القائد العام للحرس الثوري، اللواء حسين سلامي.
- رئيس مقر خاتم الأنبياء المركزي، اللواء غلام علي رشيد، وخلفه في المنصب نفسه، اللواء علي شادماني.
- اللواء محمد سعيد إيزدي، مسئول وحدة فلسطين في فيلق القدس.
- أمير علي حاجي زاده، قائد القوات الجوية الفضائية التابعة للحرس الثوري.
- العميد داود شيخيان، قائد فرع الدفاع الجوي في القوات الجوفضائية التابعة للحرس الثوري.
- العميد محمد باقر طاهريور، قائد فرع الطائرات المسيرة في القوات الجوفضائية التابعة للحرس الثوري.
- غلام رضا مرحابي، رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية.
- محمد باقري، قائد منظومة الصواريخ أرض-أرض في الحرس الثوري.

من الجوانب شديدة الأهمية في النشاط الجوي الإسرائيلي طيلة فترة العمليات العسكرية في إيران، ما يرتبط بتشكيل "مجموعات جوية خاصة"، تتكون من تشكيلات مختلطة من المقاتلات والطائرات المسيرة، تعمل في أجواء غرب وشمال غرب إيران، بنسق يتبع تكتيكات "الصيد الحر"، لرصد تحركات أي وسائط ذاتية الحركة، سواء كانت تابعة للدفاعات الجوية الإيرانية، أو خاصة بقوات الصواريخ، وكان التركيز الأكبر مرتبطًا بمنصات الإطلاق الصاروخية ذاتية الحركة، وتحديدًا منصات "الحالة الأولى" -أي التي تكون في حالة جاهزية دائمة للإطلاق في حالات الطوارئ- خاصة في نطاق مدن كرمانشاه وخرم آباد وتبريز، وقد أسفرت هذه التحركات الجوية عن تدمير عشرات المنصات الصاروخية؛ مما تسبب في تحجيم عمليات الإطلاق الصاروخية من إيران، بشكل دفع طهران لتغيير منهجية استخدام القوة الصاروخية، كما سيتم توضيحه لاحقًا.

وحقيقة الأمر أن إحراز المقاتلات الإسرائيلية لهامش كبير من "السيادة الجوية" في قسم كبير من الأجواء الإيرانية، يعود بشكل كبير إلى عمليات تمهيدية بدأت قبيل بدء العمليات الجوية مباشرة، ظهر من خلالها دور "العمليات الخاصة"؛ حيث أظهرت المجريات الميدانية تعرض مواقع الدفاع الجوي الإيرانية، لهجمات مكثفة عبر أعداد كبيرة من المسيرات الانتحارية الصغيرة، التي تم إطلاقها من شاحنات في عدة مناطق ايرانية -على النسق نفسه الذي تم اتباعه خلال الهجمات التي تعرضت لها عدة قواعد جوية روسية مؤخرًا، كما تم استخدام منصات تعمل عن بعد، لإطلاق صواريخ "سبايك" المضادة للدروع، نحو منصات إطلاق الدفاع الجوي، عبر خلايا من العملاء، وهو أسلوب سبق وتم استخدامه بشكل مغاير -على نطاق أضيق- خلال عملية اغتيال العالم النووي الإيراني، محسن فخري زاده، أواخر عام 2020.

دور العمليات الخاصة في هذا الصدد كان مفصليًا في نجاح العمليات الجوية الإسرائيلية طيلة 12 يومًا متتالية، وهو دور منح سلاح الجو الإسرائيلي، إمكانية الاستخدام الموسع لطائرات التزود بالوقود، من مناطق قريبة من الأجواء الإيرانية، بما يمنح المقاتلات وقتًا أطول في الأجواء الإيرانية، لتتبع وتدمير منصات إطلاق الصواريخ، وفي الوقت نفسه منح المقاتلات التي تنفذ عمليات استهداف المواقع العسكرية والصناعية الإيرانية، قدرة أكبر على التسلح بحمولات أثقل من قنابل الهجوم المباشر، عوضًا عن الاعتماد خلال أوقات سابقة -مثل اشتباك أكتوبر 2024- على الصواريخ البالستية المطلقة جوًا أو الذخائر الجوية بعيدة المدى، وهو ما منح هذه المقاتلات قدرة تدميرية أكبر؛ نظرًا لثقل قنابل الهجوم المباشر، مقارنة بالذخائر التي يتم إطلاقها من خارج المدى الجوي الإيراني.

استيعاب الصدمة، ورد الفعل الإيراني

بدا أن تأثيرات الضربة الجوية الإسرائيلية -وما صاحبها من عمليات خاصة- قد بدأت في فرض مفاعيلها على توقيت ومستوى ضربات الرد الإيرانية، التي كان المتوقع-

اعتمادًا على تجربة اشتباك أكتوبر 2024 - أن تكون على شكل صليات صاروخية مكثفة، تتراوح قوة كل منها بين مائة ومائتي صاروخ، وتشارك فيها عشرات المسيرات، لكن ظهرت تأثيرات المجهود الجوي الإسرائيلي بشكل واضح، عبر التراجع التدريجي للضربات الصاروخية الإيرانية "من حيث الكم"، على مدار أيام الاشتباك، علمًا أن الردود العملياتية الإيرانية على الهجوم الإسرائيلي، لم تبدأ فعليًا إلا بعد مرور 18 ساعة على انطلاق الهجمات الإسرائيلية.

بشكل عام، تمكنت طهران عبر مجهودها الصاروخي، من استهداف أحياء سكنية في مناطق حيفا وقيسارية وتل أبيب ورامات غان وبيتاح تكفا وريشون لتسيون وبني براك وبيت يام، بجانب مواقع حيوية هي:

- **مقرات صناعية استراتيجية:** مقر شركة "رافائيل" للصناعات الدفاعية في مدينة حيفا، والمنطقة الصناعية في "كريات غات".
- **مقرات حكومية:** مقر البورصة الإسرائيلية في منطقة رامات غان قرب تل أبيب.
- **مقرات عسكرية أساسية:** مقر القيادة العسكرية الإسرائيلية في منطقة "الكرياه" بتل أبيب، ومستشفى "سوروكا" العسكري في مدينة بئر السبع، ومقر تابع لجهاز الموساد في منطقة "جليلوت" شمال تل أبيب.

- **منشآت نفطية ومحطات طاقة:** مصفاة النفط الرئيسية في مدينة حيفا، التي تعرضت محطة الطاقة الرئيسية بها، لضربة صاروخية مباشرة، دفعت مجموعة "بازان" النفطية، لإغلاق جميع منشآت التكرير داخل المصفاة.

- **معاهد تقنية وعلمية:** معهد "وايزمان" للعلوم في منطقة رحوفوت قرب تل أبيب، والذي يعتبر أحد أهم المعاهد العملية الإسرائيلية، ومركز "جاف يام" التقني في النقب.

على المستوى النوعي، استخدمت طهران بشكل أساسي عدة أنواع من الصواريخ البالستية، وهي "غدير - قدر - سجيل - عماد - حاج قاسم - خيبرشكن - فتاح1-". صواريخ الحاج قاسم، وخيبر شكن، وفتاح1-، جميعها صواريخ بالستية متوسطة المدى تعمل بالوقود الصلب، وهي بالمقارنة مع الصواريخ البالستية التي تعمل بالوقود السائل، فإنها كانت أسرع وأسهل في عمليات الإطلاق؛ مما يقلل من إجمالي الوقت المتاح للخصم لرصدها واستهدافها استباقيًا، لكن أسهم استهداف منصات الإطلاق في تقليل الأعداد المطلقة منها بشكل مطرد خلال أيام الاشتباك. يجدر بالذكر أن صاروخ "عماد" والنسخة المطورة منه المسماة "قدر"، هي صواريخ ذات مرحلتين تعمل بخليط من الوقود السائل والصلب، وتمتلك إمكانية حمل رءوس حربية منفصلة.

وقد شمل استخدام صاروخي "فاتح1-" و"سجيل"، الجانب الأبرز في المستوى النوعي للصواريخ التي تم استخدامها، فقد كان ظهور صاروخ "فاتح1-" في عام 2023 ذا أهمية خاصة؛ نظرًا لقدرته على التحليق بسرعات فرط صوتية، وامتلاكه القدرة على المناورة في أثناء التحليق؛ مما يوفر حيزًا محدودًا للدفاعات الجوية لاعتراضه، خاصة في مرحلة التحليق في منتصف المسار. أما فيما يتعلق بصاروخ "سجيل"، فقد كان الجانب النوعي فيه يتعلق باستخدام رءوس حربية عنقودية، تنفصل على مسافات تتراوح بين 2 و7 كيلو مترات فوق الهدف، لتطلق عشرات القنيبلات الصغيرة، التي يبلغ وزن كل منها نحو 2.5 كيلو جرام، وهو أسلوب أريد من خلاله زيادة قدرة الصواريخ البالستية على المستوى النوعي، لمواجهة النقص الاضطراري في أعداد الصواريخ المطلقة في الصلية الواحدة؛ حيث تُشكّل الصواريخ البالستية المحملة بالذخائر العنقودية، تحديًا جديًا للدفاعات الجوية، خاصةً إذا تعذر اعتراض هذه الصواريخ قبل أن تنشطر رءوسها الحربية على ارتفاعات أعلى.

دور المسيرات الإيرانية كان محدودًا للغاية -على غير المتوقع- طيلة أيام الاشتباك، وهذا يعود لعدة عوامل أهمها تتبع مواقع انطلاق المسيرات، سواء تحركات المنصات ذاتية الحركة الحاملة لها، أو استهداف المدارج والمطارات الموجودة في غرب البلاد، والتي يتم من خلالها إطلاق هذه المسيرات، لكن تجدر الإشارة إلى أنه خلال الأيام الأخيرة للعمليات القتالية، لوحظ زيادة طفيفة في اعتماد طهران على الطائرات المسيرة، خاصة خلال العمليات الليلية، لكن عمليًا لم يتم تسجيل إصابات ناجحة للمسيرات الإيرانية في اتجاه الأراضي الإسرائيلية، سوى في مناسبة واحدة استهدفت فيها طائرة منزلًا في بلدة بيت شان

شمال شرق مدينة القدس، علمًا أن أحد التسجيلات الإسرائيلية لعمليات اعتراض المسيرات الإيرانية، أظهر عملية اعتراض مسيرة ايرانية من نوع "شاهد101-"، في منطقة قريبة للغاية من قاذف خاص بمنظومة الدفاع الجوي الإسرائيلية "أرو- 3".

تغيرات جذرية في العقيدة التكتيكية لتل أبيب وطهران

ربما من الجائز اعتبار أن المحور الأول الذي شابته تغيرات عميقة، كنتيجة مباشرة لمجريات المواجهة الجوية والصاروخية بين طهران وتل أبيب، هو ما يرتبط بالعقيدة الدفاعية لكلا الجانبين؛ حيث تأثرت بشكل أو بآخر الثوابت الأساسية التي تم بناء عليها كلا العقيدتين، وهو تأثر لم يحدث فقط بسبب المواجهة المباشرة بينهما، بل أيضًا نتيجة ما طرأ من دروس ميدانية خلال الأنشطة العسكرية المختلفة التي انطلقت عشية هجوم السابع من أكتوبر 2023 على مستوطنات غلاف غزة.

تطور مبدأ "التفوق الجوي":

بطبيعة الحال كانت العقيدة العسكرية الإسرائيلية منذ ستينيات القرن الماضي، مبنية بشكل شبه أساسي على "التفوق الجوي"، ومبادئ أخرى من أهمها مبدأ "الحرب الاستباقية" و"الحرب الخاطفة" و"التركيز الجبهوي"، وكذا تفادي الدخول في مواجهات استنزافية على مدار فترة زمنية طويلة. هذه المبادئ تم تطويرها بشكل جذري -اعتمادًا على دروس حرب عام 2006 في لبنان- ثم خضعت مرة أخرى للتطوير عقب عملية السابع من أكتوبر 2023، لتصبح العقيدة الدفاعية الإسرائيلية على المستوى العام، أبعد ما تكون عن الاعتماد بشكل رئيسي على المناورة بالدبابات والمدرعات، وأصبحت تعتمد على العمليات القتالية الهجينة، التي تربط بين عناصر المشاة والقوات الخاصة، وبين عمليات القوات المشتركة، التي تشارك فيها البحرية والقوات الجوية وسلاح المهندسين وأسلحة الدعم المدفعي.

لكن على المستوى الاستراتيجي، رفعت تل أبيب بشكل لافت من مستوى أهمية العامل الإقليمي في استراتيجيتها الدفاعية، وتبنت تطبيقًا أكثر "اندفاعًا" للتحركات الهجومية، من خلاله التغلب على معضلات يفرضها عدم امتلاك إسرائيل لعمق جغرافي كافي، وضآلة المكون البشري الذي تمتلكه. يقتضي هذا التطبيق، الانخراط بشكل ميداني مباشر أو عبر العمليات الاستخباراتية الخاصة، في كافة الجبهات المحيطة بإسرائيل من الاتجاه الشمالي والشرقي، سواء كانت هذه الجبهات خاملة أو نشطة، وهو ما تضمن العودة لتكتيكات "الأحزمة الأمنية"، والاشتباك بشكل أكبر مع الأوضاع الداخلية في الدول التي تتماس مع إسرائيل في هذا الاتجاه، لتحقيق هدف استراتيجي يتمثل في منع تكون "تهديدات جديدة"، وتحجيم أي تهديدات قائمة. هذه التغيرات -حتى وقت قريب جدًا- لم تظهر تأثيراتها في المقاربة الإسرائيلية الخاصة بالتعامل مع الحالة الإيرانية، خاصة في ظل النجاح المرحلي لتل أبيب في "تحييد" جبهتي لبنان وسوريا، وتراجع فاعلية الجبهة اليمنية.

انكشاف نقاط ضعف استراتيجية "القوة الصاروخية" الإيرانية:

أما في الجانب الإيراني، فقد ظلت طهران طيلة الأعوام الماضية، ترتكز في استراتيجيتها الدفاعية على محاور تم

تعديل أغلبها عقب الغزو الأمريكي للعراق عام 2003، وتعتمد هذه المحاور بشكل رئيسي على القوة الصاروخية والطائرات المسيرة، كطبقة أولى للردع والاستهداف بعيد المدى، بجانب استخدام الدول والجماعات الحليفة في نطاق الشرق الأوسط، كمنصات يمكن من خلالها توسيع خطوط المواجهة مع اسرائيل أو أي طرف معادٍ لطهران. بطبيعة الحال استشعرت الأوساط العسكرية الإيرانية، ضرورة تعديل هذه الاستراتيجية، في ضوء التغيرات الحادة التي طرأت على المشهد الإستراتيجي الإقليمي، عقب هجوم السابع من أكتوبر.

التحول الذي طرأ على العقيدة الدفاعية لكلا الطرفين، تمثل في أن تل أبيب من جانبها، قد دشنت عمليًا بأسلوب تنفيذ هجماتها على إيران، انتقالًا من أسلوب "الضربات الوقائية"، إلى أسلوب هجين يعتمد على الوصول إلى حالة الردع عن طريق تراكم القدرات، بما يسمح بتحقيق "هامش نوعي" من القوة، لا يعتمد فقط على القوة الجوية، بل يشمل أيضًا العمليات الخاصة والاستخباراتية، والقدرات المسيرة، والقدرات البحرية "مستقبلًا"، وكذلك الاستخدام الفعال للقدرات الدفاعية، مثل أنظمة الدفاع الجوي متعددة الطبقات. أما على المستوى الإيراني، فقد وجدت طهران أن الاعتماد بشكل شبه كامل على كل من القوة الصاروخية والوكلاء، في استراتيجيتها الدفاعية، أصبح أمرًا تشوب جدواه شكوكًا عديدة، في ظل اضمحلال أدوار أغلب وكلائها في المنطقة، وكذا فقدانها القدرة على تنفيذ تكتيكات "الإغراق الصاروخي"، خلال المواجهة الأخيرة مع إسرائيل.

ثغرات جدية في عقيدة الدفاع الجوي الإيرانية:

المحور الثاني -والأهم- من التغيرات التي طرأت على التكتيكات التي اتبعها كل من الجانبين خلال المواجهة الأخيرة، يرتبط بالجانب الميداني والتسليحي؛ حيث اتضح من خلال المجريات الميدانية، أن طهران تعتمد بشكل كبير على أنظمة الدفاع الجوي النقطية، لحماية المرافق الحيوية، اعتمادًا على امتلاك تحذير مسبق من اقتراب الطائرات المعادية، عبر شبكة من الرادارات بعيدة المدى، وهي استراتيجية لا تتضمن الاعتماد على سلاح الجو، في مهام الاعتراض الجوي، نتيجة قصور يشوب هذا السلاح منذ سنوات؛ حيث ركزت طهران أولويات التحديث على القدرات الصاروخية والمسيرة، من زاوية أن التطور في هذا المجال سيسمح بسد الفجوة الناتجة عن ضعف قوتها الجوية، لكن المواجهة الأخيرة أثبتت عدم صوابية هذا التوجه؛ حيث كان يمكن لسلاح الجو الإيراني، أن يسهم في مهام الاعتراض الجوي، خاصة بالنسبة للمقذوفات والمسيرات الإسرائيلية، بدلًا من أن يتم ترك الأجواء الإيرانية -خاصة في المنطقة الغربية- مفتوحة بشكل شبه كامل أمام الأنشطة الجوية الإسرائيلية، وهو ما أسهم في إضعاف العامل الكمي للصليات الصاروخية الإيرانية، وبالتالي إفشال أي محاولة لتنفيذ "الإغراق الصاروخي".

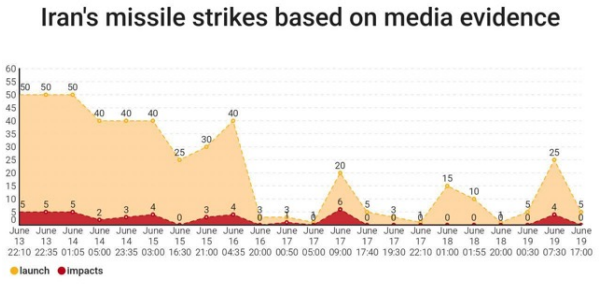

فجوة الصواريخ الاعتراضية في إسرائيل:

على الجانب الإسرائيلي، ظهرت فجوة مهمة تتعلق بمسألة تم طرحها خلال مواجهات عسكرية سابقة، ألا وهي مسألة "استنزاف الذخائر الاعتراضية". من حيث الشكل، أشارت الأرقام المتوفرة، إلى "نجاح" إسرائيلي في عمليات الاعتراض للصواريخ الإيرانية؛ حيث تشير التقديرات المتوفرة، إلى أن طهران قد أطلقت ما مجموعه 631 صاروخًا بالستيًا نحو إسرائيل، وصل منها إلى الأجواء الإسرائيلية نحو 500 صاروخ، نحو 243 صاروخًا منها لم يتم اعتراضه -نتيجة لأنه لم يكن موجه نحو أهداف مهمة أو حيوية- في حين تمت محاولة

اعتراض 257 صاروخًا، اعترض منهم بنجاح 221 صاروخًا، ونجح 36 صاروخًا في إصابة مناطق مؤثرة. هذا يشير إجمالًا إلى نسبة اعتراض تبلغ 86 بالمائة، علمًا أن تكتيكات الدفاع الجوي الإسرائيلي، تقتضي اعتراض الصواريخ التي يحتمل أن تصيب أماكن مهمة أو مأهولة بالسكان فقط.

هذه النتيجة تبدو إيجابية، خاصة وأنها جاءت كنتيجة مباشرة للوجود الجوي الإسرائيلي الدائم في غرب إيران، لكن لا تنفي هذه النتيجة أن طهران تمكنت من إدامة عمليات إطلاق الصواريخ طيلة أيام الاشتباك، وأنها عدلت بشكل واضح -وتحديدًا منذ اليوم التاسع للعمليات، تكتيكات الإطلاق الصاروخي، لتتخلى عن تكتيك "الإغراق الصاروخي"، وتتوجه أكثر نحو تكتيك "القصف النوعي المحدود"، بحيث يتم إطلاق عدد محدود من الصواريخ، بحيث تتضمن صاروخًا أو صاروخين "نوعيين"، لاستهداف أهداف حضرية مأهولة؛ مما يسمح بتحقيق إصابة مؤثرة تؤدي الغرض الأساسي من الضربة الصاروخية بشكل عام، هذا بجانب تعديل مواعيد الإطلاق لتصبح صباحًا وليس مساء، بما يسمح من جهة في استغلال الإرهاق الذي يحل على طواقم الدفاعات الجوية الإسرائيلية التي تقوم بالمناوبة الليلية، وفي الوقت نفسه يسمح بالاستفادة من ضوء الصباح، لفضح الأضرار التي تلحق بالأهداف التي يتم استهدافها.

نجاح طهران في تعديل هذا التكتيك، كان نتيجة مباشرة لحالة "الاستنزاف" التي دخلتها الدفاعات الجوية الإسرائيلية في الأيام السبعة للاشتباكات، خاصة فيما يتعلق بالصواريخ الاعتراضية الخاصة بمنظومات "أرو2-" و"أرو3-"، التي نالها القسم الأكبر من الاستنزاف، علمًا أن المنظومة الأولى تبلغ تكلفة الصاروخ الواحد فيها 2.5 مليون دولار، ويختص في اعتراض الصواريخ البالستية بعد دخولها الغلاف الجوي، في حين تبلغ تكلفة الصاروخ الواحد في المنظومة الثانية، 4.5 ملايين دولار، ويقوم بتنفيذ عمليات الاعتراض في مرحلة منتصف المسار. بسبب هذه التكلفة، وكذلك تناقص المخزونات المتوفرة من الصواريخ الاعتراضية، اضطرت الدفاعات الجوية الإسرائيلية لاستخدام منظومات أقل كفاءة في اعتراض الصواريخ البالستية، مثل منظومة "مقلاع داوود"، التي فشلت في اعتراض الصاروخ الذي أصاب مبنى في مدينة بئر السبع خلال المراحل الأخيرة للعمليات القتالية، ومنظومة "القبة الحديدية" المتخصصة في الأساس لاعتراض الصواريخ والمقذوفات الأصغر حجمًا.

الخلاصة، يمكن القول إن المواجهة الأخيرة بين الجانبين -الإيراني والإسرائيلي- تحولت بشكل سريع إلى ما يشبه "حرب استنزاف صاروخية"، تستنزف فيها طهران المخزونات الإسرائيلية من الصواريخ الاعتراضية، وتستنزف فيها تل أبيب المخزونات الإيرانية من الصواريخ البالستية، وهي معادلة تبدو صفرية، لكنها أوضحت بشكل كبير أن كلًا من الجانبين يعانيان من فجوات نوعية في عقيدتهما الدفاعية، في ظل عدم كفاية الاعتماد الإسرائيلي على القوة الجوية بشكل حصري، في ظل وجود احتمالات كبيرة لدخول دفاعها الجوي في حالة شلل كامل، في حالات الاشتباك الممتد مع خصم يمتلك قوة صاروخية متعددة الطبقات، وفي ظل اتضاح قصور الاستراتيجية الدفاعية الإيرانية الحالية، التي همشت دور السلاح الجوي، ووضعت كل ثقلها في التسليح الصاروخي، دون امتلاك بدائل "ذاتية" أخرى للردع، لا تعتمد على دور الوكلاء الخارجيين.

وعي الدولتين بهذه الفجوات، لم يمنعهما من اعتبار هذه المواجهة بمثابة "انتصار ميداني كامل"، فطهران ترى أنها ألحقت خسائر مؤثرة في العمق الإسرائيلي بأقل عدد من الصواريخ المطلقة، وتمكنت من الرد على الضربات الإسرائيلية رغم ضراوة هذه الضربات خاصة الجانب الجوي منها، في حين تنظر تل أبيب لهذه المواجهة من زاوية إلحاق أضرار كبيرة بطائفة واسعة من المواقع في إيران -خاصة المواقع النووية- وتحقيقها هامشًا كبيرًا من السيطرة الجوية لنحو أسبوعين في الأجواء الإيرانية، وكذا تنفيذ اختراقات عميقة في البنية الأمنية الإيرانية، وهي أمور تبدو جميعها مطابقة للواقع، لكن الأكيد أن مشهد المقاتلات الإسرائيلية في أجواء طهران، والصواريخ الفرط صوتية الإيرانية في بئر السبع وحيفا وتل أبيب، قد رسم معادلة تكتيكية جديدة تمامًا بين الجانبين، تجعل من الجائز القول إنهما الآن في طور التجهيز للجولة الثانية.

مراجع:

1- JOSEPH TREVITHICK, Israeli Airstrikes Blunt Iranian Long-Range Ballistic Missile Threat,The War Zone, JUN 19, 2025, https://2u.pw/is73i

2- Fabian Hinz, Israel's attack and the limits of Iran's missile strategy, The International Institute for Strategic Studies, June 18, 2025, https://2u.pw/oN5Qv

3- HOWARD ALTMAN, Spike Missiles That Destroyed Air Defenses From Inside Iran Were Remotely Operated, The War Zone, JUN 16, 2025, https://2u.pw/QKWoe

4- The Oryx Handbook Of Iranian Ballistic Missiles And Artillery Rockets, the oryx, October 07, 2022, https://2u.pw/XfWFX

5- EMANUEL FABIAN, The Israel-Iran war by the numbers, after 12 days of fighting, times of israel, June 24, 2025, https://2u.pw/XlRcR

6- THOMAS NEWDICK, Iranian Ballistic Missiles Hit "Strategic Points" In Israeli Port City Of Haifa, The War Zone, JUN 20, 2025, https://2u.pw/2wX4z

7- JOSEPH TREVITHICK, Iran Just Used Ballistic Missiles With Cluster Warheads To Strike Israel, The War Zone, JUN 19, 2025, https://2u.pw/d977N

8- HOWARD ALTMAN, Top Iranian Nuclear Scientists Killed By Secret Israeli Weapon, The War Zone, JUN 20, 2025, https://2u.pw/IUDov